الحياء خير كله

٢٠ رجب ١٤٣٦هـ الموافق ٨ مايو ٢٠١٥م

أولاً: العناصر:

١- الحياء ومنزلته في الإسلام .

٢- مظاهر الحياء وأقسامه.

٣- فضائل الحياء وثمراته.

٤- أثر ضعف الحياء في سلوكيات الناس.

٥- أثر الحياء في الحفاظ على الأعراض.

٦- أثر الحياء على الفرد والمجتمع.

ثانيًا : الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- يقول الله تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[القصص: ٢٥].

٢- ويقول الله تعالى : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: ٣٠، ٣١].

٣- ويقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا } [الأحزاب: ٥٣].

٤- ويقول الله تعالى: { أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق:١٤].

٥- ويقول الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور: ١٩].

الأدلة من السنة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ– شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ » (رواه مسلم).

٢- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ لِلأَشَجِّ الْعَصرِيِّ : " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْم ، وَالْحَيَاء"(سنن ابن ماجة).

٣- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : " إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا ، وَخُلُقُ الإِسْلاَمِ الْحَيَاءُ" [سنن ابن ماجة].

٤- وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قال : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :" إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأولى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ" (صحيح البخاري).

٥- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ :" كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ " (متفق عليه).

٦- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: « الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ » (سنن الترمذي).

٧- وعن عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ (رضي الله عنه) عَنِ النبي (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: "الْحَيَاءُ لاَ يأتي إِلاَّ بِخَيْرٍ ، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ : إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً". فَقَالَ عِمْرَانُ : " أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وتحدثني عَنْ صُحُفِكَ "(متفق عليه).

٨- وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): : " مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ" (سنن الترمذي).

٩- وعن سلمان (رضي الله عنه) قال: قال رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلم): « إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ يَدَيهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا » (سنن أبي داود).

١٠- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ" قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ"(سنن الترمذي).

ثالثًا: الموضوع:

إن للأخلاق منزلة عظيمة في الدين ، عني الإسلام بها عناية جليلة وفريدة ، لما لها من صلة وثيقة وقوية بعقيدة الأمة ومبادئها ، فكمال الأمة بكمال أخلاقها، وصلاح الأمة بصلاح آدابها وأخلاقها، وصدق الشاعر حيث قال :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وإن من أفضل مكارم الأخلاق وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا خُلُقُ الحياء ، فبه يتم الدين ، وبه يكتمل الإيمان ، يقول (صلى الله عليه وسلم): « الحياء شعبة من الإيمان ، ولا إيمان لمن لا حياء له» (الترغيب والترهيب). فإذا تخلق الإنسان بخلق الحياء ، كان ذلك دليلاً على حسن أدبه وسلوكه وصلاح ظاهره، ونقاء سريرته ، وكمال إيمانه.

والحياء معيار الأخلاق الحسنة وعلامتها؛ بل هو رأس مكارم الأخلاق، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ): " إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا ، وَخُلُقُ الإِسْلاَمِ الْحَيَاءُ" [سنن ابن ماجة]. وعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : (رأس مكارم الأخلاق الحياء) (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا).

هذا الخلق النبيل والسلوك القويم هو رمز العفة والطهارة الذي تحلّى به النبي (صلى الله عليه وسلم) لقد وصف بقدر من الحياء لم يوصف به غيره ، فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) : كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ" (متفق عليه). فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) حييًّا أعظم ما يكون الحياء ، لا يجابه أحداً بما يكره ، وكان في هذا كما هو شأنه في كل شيء مضرب الأمثال ، وأسوة الأسوة ، مما جعله دائماً مركز إشعاع وموئل هداية لا ينتهي عطاؤها، قال سبحانه :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} (الأحزاب : ٥٣).

إنه خلق يحبه الله (عز وجل) ويرضاه لعباده الصالحين، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ لِلأَشَجِّ الْعَصَرِيِّ : "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمَ، وَالْحَيَاءَ"، بل إن الحياء يرتبط بالإيمان، فإذا غاب الحياء غاب الإيمان ، ففي الحديث عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا ، فَإِذَا

رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ" (المستدرك على الصحيحين للحاكم). فينهما تفاعل مستمر وعطاء دائم ، يجتمعان ولا يفترقان ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر.

وإذا كان لكل دين علامة تميزه فإن الحياء خلق الإسلام وأداة تميزه ، بل يمثل منه الركن الركين ، لأن الإيمان وعاء الحياء وفلكه الذي يدور فيه، ولا يتصور إلا به ، فهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه ، وسبيل من سبله المفتوحة إلى رضوان الله تعالى ونعيمه ، يتجلّى ذلك فيما أخبر به النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الحياء شعبة من الإيمان ، فعن أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):(الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) (متفق عليه).

فالحياء جامع لكل خصال الخير ، يدفع الإنسان إلى فعل المحاسن ويبعده عن القبائح ، ما اتصف به مسلمٌ إلا حاز الخير الكثير، وابتعد به عن الشر المستطير ، ونال به الثواب العظيم ، فعن عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ : " الْحَيَاءُ لاَ يأتي إِلاَّ بِخَيْرٍ" ، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: " إِنَّهُ مَكْتُوبٌ في الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً ".

والحياء صفة جليلة اتصف بها الخالق سبحانه وتعالى ، فمن صفاته تعالى أنه حييٌّ ، ففي الحديث: " إنَّ ربكُم حَيِيٌ كريمٌ يستحيي مِنْ عبدِه إذا رَفعَ يَدَيهِ إليه أن يَرُدَّهما صِفْرًا".

والحياء يكون من الله (تعالى) ومن النفس ، ومن الناس.

أما الحياء من الله تعالى : فهو أعلى درجات الحياء ، فيستحي العبد من ربه أن يجده حيث نهاه ، وهذا الحياء الذي بين العبد وربه قد بينه الحديث : " اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ" قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ" (سنن الترمذي) .

ولهذا أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) بالتَّسَتُّرِ ولو كنا في خلوة حياءً من الله تعالى ، فعن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ عَوْرَاتُنَا ، مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ ؟ قَالَ: "احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ:" إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تُرِيَهَا أَحَدًا فَلاَ تُرِيَنَّهَا"، قُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا ؟ قَالَ:" فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ" (سنن أبي داود) .

فإذا كان هذا حال المؤمن في خلواته فما بال هؤلاء المتكشفين بإبداء العورات وإظهار القبائح أمام الخلائق!!! فالعبد إذا علم أن الله ناظر إليه ؛ أورثه ذلك حياءً منه تعالى ، وإذا تيقن

العبد أن الله مطلع عليه وسيسأله يوم القيامة عن كل ما اقترفت يداه ، فإنه سيخجل فيقبل على الفضيلة ويترك الرذيلة ، نجد ذلك واضحًا عندما احتضر الأسود بن يزيد (رحمه الله) بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ قال: ما لي لا أجزع ومن أحق بذلك مني؟! والله لو أتيت بالمغفرة من الله (عز وجل) لأهمّني الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحييا منه.

وأما الحياء من الناس : فهو من مكارم الأخلاق كذلك ، فحياء الإنسانَ من الناسِ يمنعه من أن تقع أعينهم على ما يعيبونه عليه ، ويكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح ، رُوِيَ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ (رضي الله عنه) أَتَى الْجُمُعَةَ مُتَأخرًا فوَجَدَ النَّاسَ قَدْ انْصَرَفُوا فَتَنكَبَّ الطَّرِيقَ (أي اجتنبه) عَنْ النَّاسِ ، وَقَالَ : لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِي مِنْ النَّاسِ.

فالواجب على العاقل أن يعود نفسه لزوم الحياء من الناس ، فإن ذلك يقوده إلى التعوّد على فعل محمود الخصال ، والابتعاد عن سيئ الخِلال ورديء الكلام.

وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وهذا أكمل ما يكون من الحياء ، فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو أولى أن يستحيي من غيره .

أما عن مظاهر الحياء فمنها: أنْ يُطهِّر المسلم لسانه من الفحش والرذيلة فـ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) (صحيح البخاري). والحياء مستحبٌ في كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل. ومن الحياء التعفف عن قول ما لا يليق ، ولنا عبرة فيما كان يصنعه النبي (صلى الله عليه وسلم) حين يقول: "ما بال أقوام يقولون كذا وكذا " (شرح مشكل الآثار للطحاوي)، وكان يكني عن أشياء كثيرة ، فلْنتأسَ به (صلى الله عليه وسلم) ولنتخلق بأخلاق الإسلام حتى نعالج هذه السلبيات التي انتشرت في المجتمع ، فلقد صرنا نسمع قبيحًا من القول في الطرقات وفي المواصلات وفي الأماكن الخاصة والعامة ، صرنا نرى من يجاهر بالمعاصي ويتظاهر بالقبائح في وضح النهار وأمام الناس دون وازع من إيمان أو رادعٍ من حياء.

ومن مظاهر الحياء أيضًا : أن يتوقى الإنسان ويتحاشى كلّ ما يجلب له السوء من موارد الشبه ومواطن الشائعات ، فمن الحياء أن يحرص المسلم على سمعته ، فلا يقول أو يفعل ما يلوث سمعته ، ويعرضه للسخرية والأقاويل المغرضة ، قال الْأَصْمَعِيُّ (رحمه الله): سَمِعْت أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ"

وكذلك من مظاهر الحياء : محافظة المرأة المسلمة على كرامتها وحشمتها ، ومراقبة ربها، وحفظها حقَ زوجها ، والبعد عن مسالك الريبة ومواطن الرذيلة ، فحياء المرأة هو سياجها وحصنها وحماها الذي تحمي به شرفها ، وتصون به عرضها ، وتحفظ به سمعتها ، لذا دعا الإسلام إلى رعايته وتنميته ، وجعله من أَجَلِّ النعم التي تنعم بها المؤمنات المقربات ، وتتحلى به عَقيلات الأسر ، وعريقات الأصول ، يلتزمنه ويتخذنه سننًا وطريقًا يمشين عليه ، قال تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[القصص:٢٥].

إن الحياء من أجمل ما تتزين به المرأة ، ومن حياء المرأة غض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة لغير المحارم ، وهذا ما أمر به القرآن الكريم حيث قال:{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١]. ففي هذه الآية الكريمة جماع العفة والطهارة والنقاء والحياء والعفاف للمرأة المسلمة.

ومن تمام حياء المرأة المسلمة : عدم خضوعها في القول حتى لا يطمع فيها أصحاب القلوب المريضة ، وأن تلتزم في حديثها بالقول المعروف الذي يؤدي الغرض المطلوب ، قولا جميلا حسنا معروفا في الخير ،كما أمر الله نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) وأمهات المؤمنين في قوله تعالى : " يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا "(الأحزاب : ٣٢) .

وإنّ من أعظم فضائل الحياء أنه يفضي بأصحابه إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنْ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ) (سنن ابن ماجه). والبذاء ضد الحياء ، فهو جرأة في فُحشٍ، والجفاء ضد البر.

كذلك من فضائل الحياء أنه يفتح أبواب الخير ، ويمنع أبواب الشر ، فالحياء يدل على كمال عقل صاحبه ، فمتى وجد في الإنسان الحياء وجد فيه الخير كله ، ومتى فارقه الحياء قادته نفسه وشيطانه إلى الهلاك المحتوم ، وأرداه موارد الفساد.

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه *** فلا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك فإنما *** يدل على وجه الكريم حياؤه

ومن يتدبر أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم): في الحياء ، حيث قال: " الْحَيَاء لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ "(رواه البخاري عن عمران بن حصين) ، وقال: " والْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ ، أَوْ قَالَ: الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ) (رواه مسلم عن عمران بن حصين). يجدها تعطينا خلقًا كريمًا وسلوكًا حضاريًّا تنعم خلاله المجتمعات بالأمن والاستقرار ، وينعم تحت ظلاله الشعوب بالطمأنينة والأمن النفسي الذي يحملهم على أن يكونوا من حملة راية التنمية والتقدم والازدهار لهذا الوطن .

ومما يثمره الحياء على مستوى الفرد والمجتمع:

* أنه يمنع من الفواحش ، ويحمل على البر والخير ، فمن استحيا من الناس أن يروه يفعل قبحاً، دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد ، فلا يهمل فرضاً ولا يعمل ذنباً.

* أنّه مما يعين على التخلص من سلطان الشيطان وكيده : قال الإمام الغزالي–رحمه الله: (فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يُظلم وتنطفئ منه أنواره ، فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان، ويسعى في تحصيل مراد الشيطان) ، كما أنه سببٌ كل خيرٍ ، وعمدةُ كلِّ فضيلة: فقد قال علي (رضي الله عنه): (والحياء سببٌ إلى كلِّ جميل).

* أنه سببٌ لهجر المعاصي: ويكون ذلك خجلاً من الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الترك من ثمرات الحياء؛ لأن الإنسان إذا استحيا من فعل شيء تركه.

* أنه سبب لمحبة الله عز وجل: فصاحبه يُعد من المحبوبين من الله ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن الله عز وجل حيي ستير ، يحب الحياء والستر) (رواه أبو داود).

فلذلك صار الحياء خلقا للإسلام ووعاء للدين ، يحمل على الاستقامة على الطاعة ، وعلى ترك المعصية ونبذ طريقها .

أما ضعف الحياء في نفوس الناس فيؤدي إلى انتهاك الحرمات ، والخوض في أعراض الناس وأنسابهم ، فكم من كلمة أوقعت صاحبها في الإثم ؟! وكم من نظرة محرمة أردت صاحبها ؟! ، وهي مقدمة لفعل الفواحش ، من أجل ذلك سد الإسلام الباب المؤدي إلى الزنا ، فقال تعالى :" {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: ٣٢) .

إن الحياء خلق رفيع يمنع الإنسان عن الاتصاف بالأخلاق الوضيعة، وعن السمعة المشينة، وعن الأقوال الفاحشة، وعن كل ما لا يرضاه الطبع السوي. فإنَّ المرء إذا فقده فعل ما شاء من معاصٍ أو آثام أو سوء خلق، ولم يخشَ في ذلك لوم لائم.

والذي هبط بالناس إلى هذا المستوى المذموم هو ذهاب الحياء من الله عز وجل ، كما في صحيح البخاري من حديث أبي مسعود أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت). فمن لم يستحِ صنع ما شاء، فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء، فمن لم يكن له حياءٌ انغمس في الفواحش والمنكرات. والمرء حينما يفقد حياءه يتدرج في المعاصي من سيئ إلى أسوأ ، ومن رذيلة إلى أرذل ، ولا يزال يهوي حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل.

إن منزوعَ الحياء لا تراه إلا على قبيح الخصال، ولا تسمع منه إلا رديء الكلام ، كأصحاب الدعوات الإباحية والشاذة الهدامة الخارجة على حدود اللياقة والحياء، وعلى قيمنا الدينية والأخلاقية ، وعاداتنا وتقاليدنا المصرية الأصيلة ، وهي دعوات يرفضها الشعب المصري كله ، لأنه تربى على العفة والطهارة .

كما أن هذه الدعوات تعد أكبر وأهم وقود للتطرف والإرهاب ، وتعطيه ذريعة لوصف المجتمع بما ليس فيه ولايمكن أن يقره ولا يرتضيه .

إن الإنسان المستقيم صاحب الحياء لا يرضى لأمه ولا لبنته مثل هذه الأمور ، فقد جاء شاب يستأذن النبي (صلى الله عليه وسلم) في الزنا كما جاء في حديث أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ : ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ :" أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ" ؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ" ؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ "؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ :" وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ "؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ :" وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ" ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ" . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ" (مسند أحمد).